کتابخانه جامع
جامعة العلوم
معاونت پژوهش
مرکز تحقیقات علوم اسلامی
تأسیس ۱۳۸۵

مرکز جهانی علوم اسلامی

مدرسه علمیه امام خمینی

رسالة الماجستير

قسم علوم القرآن و الحديث

الإمامة عند الشيعة الإمامية

الأستاذ المشرف:

آية الله الشيخ محمّد هادي معرفة

الأستاذ المستشار:

حجة الاسلام الدكتور فتح الله نجارزادگان

المحقق:

سيد رحيم الموسوي

السنة الدراسية ٨٢ - ١٣٨٣

کتابخانه جامع مرکز جهانی علوم اسلامی
شماره ثبت: ۱۳۵۰
تاریخ ثبت:

الإهداء

إلى صاحب ولاية الحق وأخي رسول الله ﷺ وإلى بضعة رسول الله (ﷺ)، وأول مظلومين قد ظلما في سبيل الإمامة والولاية، لإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

إلى مولى الموحدين وقائد الغر المحجلين أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والحوراء الإنسية الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام أتقدم بهذا الجهد المتواضع عسى أن يُتقبل منا.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على المحمود الأحمد والمصطفى الأمجد أبي القاسم محمد وعلى آله الميامين المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

لقد منّ الله تعالى علينا بنعمة الولاية والهداية، بعدما أخرجنا من ظلمة العدم إلى نور الوجود، ثم توالت نعمائه وسوابغ آلائه علينا بنعمة التعلم والمعرفة، وبفضل مؤسس هذه الدولة المباركة، السيد الإمام الراحل (قدس)، ثم شاءت إرادته أن تكتمل هذه المسيرة الجبارة، فمنّ علينا بولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنيء، المحافظ على صرح هذه الأمة، وسعى في تشييد ما أسسه الإمام الخميني (قدس)، وكانت من جملتها تولي رعاية المدرسة العليا الموسومة باسم قائد الأمة، مدرسة الإمام الخميني للدراسات العليا، فأتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان لكل من ساهم في بناء وحفظ ورفد هذه المؤسسة التربوية العلمية، وعلى رأسهم ولي أمر المسلمين السيد القائد، وأخص بالذكر مدير هذه المدرسة المباركة السيد هاشميان وجميع الأساتذة والأخوة المنتسبين، بما أولوه لنا من رعاية واهتمام كبيرين، ولا يفوتنا أن نخص بالشكر وفائق الاحترام رئيس قسم علوم القرآن والحديث حجة الإسلام والمسلمين الدكتور رضائي وأساتذة القسم وجميع الأخوة من له حظ الرعاية والمساعدة في إتمام هذا العمل.

وأتقدم بشكري وفائق أمتناني الخالصين لسماحة آية الله الشيخ محمد هادي معرفة لما بذل وإيانا من جهود مشكورة، ولأشرافه الخاص على هذه الأطروحة، وحجة الإسلام والمسلمين الدكتور فتح الله المحمدي (نجّارزادكان) لمساعدته ورعاية الخاصة الدؤوبين، وإبداء نصائحه وإرشاداته القيمة بما يتعلق بنجاح هذا العمل، فشكر الله سعيهم وسدد خطاهم، والحمد لله أولاً وآخراً، صلى الله على محمد وآله الميامين.

فهرس الموضوعات

البسملة

الإهداء

الشكر والتقدير

فهرس الموضوعات

المقدمة ١

الفصل الأول: الإمامة في القرآن الكريم والسنة الشريفة

المبحث الأول: في معنى الإمامة ٩

أولاً: في المعنى اللغوي: ٩

ثانياً: في المعنى الاصطلاحي: ١٠

المبحث الثاني: إثبات تحقق الإمامة ١٥

تمهيد: ١٥

أدلة تحقق الإمامة في الأمة الإسلامية ١٦

أولاً: القرآن الكريم: ١٦

آية الولاية ١٩

المقدمة الأولى: أن لفظة الولي في اللغة تشمل معنى المتصرف أو الإمام القائد. ..٢١

المقدمة الثانية: وأن هذا المعنى " الأولى بالتصرف " هو المراد هنا من هذه الآية. ٢١

المقدمة الثالثة: أن الآية نازلة في حق علي عليه السلام، وحده لا غير ٢١

آية البلاغ ٢٦

أحدهما: المراد تبليغه من النبي ٢٧
والآخر: هو معرفة زمان النزول. ٢٧
وهنا تأتي عدة احتمالات ، منها : ٢٨
الاحتمال الأول: هو التبري من أهل الكتاب ٢٨
والجواب: ٢٧
الاحتمال الثاني: هو ما يتعلق بالأحكام من الحلال والحرام وغيرها، ٢٩
جوابه : ٢٩
الاحتمال الثالث: أنه متعلق بمحاربة المنافقين ، ٢٩
جوابه ٣٠
الاحتمال الرابع: ما يتعلق بالخلافة والإمامة والقيادة بعد النبي ٣٠
متى نزلت الآية ؟ ٣٠
ثانياً: السنة النبوية الشريفة: ٤٢
أقسام الوحي الرسالي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ٤٩
أحدهما: وحي متلوٌ ، وهو القرآن. ٤٩
والثاني: وحي مرويٌ ، منقول ، غير مؤلف ٤٩

الفصل الثاني في خصائص الإمامة عند الشيعة الإمامية

أولاً: العصمة ٦٠
تمهيد ٦٠
العصمة لغة: ٦٢
العصمة اصطلاحاً: ٦٢

أقوال العلماء : ٦٢
أولاً: علماء الشيعة الأمامية: ٦٢
ثانياً: علماء السنة: ٦٥
بعض الآيات الدالة على عصمة أهل البيت عليهم السلام ٦٧
أولاً: الاستدلال بآية وجوب الطاعة : ٦٧
ووجه الاستدلال في هذه الآية على عصمة أولي الأمر ٦٧
ثانياً: الاستدلال بآية التطهير ٧٠
الاستدلال فيها يتوقف على مجموعة مقدمات وهي: ٧٠
المقدمة الأولى: معنى الرجس في الآية: ٧٠
المقدمة الثانية: معنى الطهارة والتطهير: ٧١
المقدمة الثالثة: الإرادة الواردة في الآية الكريمة: ٧١
المقدمة الرابعة: من هم أهل البيت ؟ ٧٤
الاحتمال الأول: أن يكون المخاطبين بها خصوص نساء النبي ٧٤
الاحتمال الثاني: أن يكون المخاطبين بها أشخاص معينين ٧٨
الأحاديث الدالة على عصمة أهل البيت (عليهم السلام) ٨٤
وإنما قلنا لا تعارض بينهما للأسباب التالية: ٩٣
أولاً: ضعف جميع أسانيد حديث كتاب الله وسنتي ٩٣
ثانياً: ما روي عن أبي هريرة من حديث كتاب الله وسنتي ٩٧
ثالثاً: رواية أبي هريرة وابن عباس (وسنتي) كما رووا (وعترتي) ٩٧
دلالة الحديث الشريف (الثقلين): ٩٨
لحديث الثقلين دلالات عديدة، منها: ٩٨
أولاً: عصمة أهل البيت (عليهم السلام) ـ ٩٨

ووجه الدلالة على العصمة في هذا الحديث ٩٨
ثانياً: يدل على خلافة وإمامة أهل البيت (عليهم السلام) ١٠١
ثالثاً: يدل على بقاء العترة ما بقي الدهر ١٠٢
ثانياً: العلم ١٠٤
تمهيد: ١٠٤
أولاً: لا شك إن القرآن كتاب فرقان ونور ١٠٨
ثانياً: أن القرآن يفسر بعضه البعض ١٠٨
ثالثاً: القرآن عام وشامل، وليس مختص بأمة ١٠٩
ذكر بعض الآيات المباركة: ١١١
أولاً: آية ومن عنده علم الكتاب ١١١
والاستدلال بها يتوقف على عدة مقدمات منها: ١١١
المقدمة الأولى: وهي بيان المقصود من الكتاب. ١١١
المقدمة الثانية: محل نزول الآية، هل هو مكي أم مدني ؟ ١١٢
المقدمة الثالثة: شأن نزول الآية ١١٣
وأمّا من قال: بأن المراد به هو الله تعالى ـ فيرد عليه: ١٢٩
المقدمة الرابعة: الملازمة بين حمل الإمام لعلم خاص وبين علم الكتاب ١٣١
ثانياً: قوله تعالى: " لا يمسه إلا المطهرون " ١٣٣
أمّا الأول: معنى المس في الآية: ١٣٤
الثاني: من هم المطهرون ؟ ١٣٦

الفصل الثالث في عدالة الصحابة

تمهيد ١٤٦

معنى الصحبة والصحابة ١٤٨

الصحبة لغة: ١٤٨

الصحبة في القرآن الكريم ١٤٩

الصحبة في الأحاديث الشريفة ١٥١

الصحبة عند أهل السنة ١٥٢

الصحبة والصحابة عند الشيعة الإمامية ١٥٣

الصحبة اصطلاحا ١٥٣

الرأي الأول: لا يشترط في الصحابي كثرة المعاشرة لرسول الله ١٥٣

ويردّ عليه: ١٥٥

الرأي الثاني: وهو من كان يشترط المعاصرة لرسول الله ١٥٥

أقول: ويرد عليه ١٥٥

الرأي الثالث: ١٥٥

الرأي الرابع: وهو للأصوليين، ١٥٥

نظرية عدالة الصحابة ١٥٦

تاريخها ١٥٦

نظر أهل السنة في عدالة الصحابة ١٥٨

من القرآن الكريم: ١٦٠

الدليل الأول: عبارة عن ثناء الله عليهم، ١٦٠

أقول: والاستدلال بالآيتين لا يتم لوجوه عديدة ومنها: ١٦١

أولاً: أن الدعوى المطلوب إثباتها قضية خاصة وشخصية ١٦١

ثانياً: إن إثبات الأفضلية لهم على سائر الأمم..... ١٦١
ثالثاً: قال علامة الطباطبائي في تفسيره الميزان:..... ١٦٢
دفاع صاحب الدليل:..... ١٦٣
ويمكن أن يناقش هذا الاعتراض من عدة وجوه ومنها:..... ١٦٣
أولاً: لو تم ما ذهب إليه في ثبوت الاختصاص بالصحابة..... ١٦٣
ثانياً: بطلان الأولوية..... ١٦٤
الدليل الثاني: قوله تعالى في بيعة الرضوان ١٦٥
أقول: وستأتي المناقشة فيه..... ١٦٥
من السنة النبوية الشريفة:..... ١٦٥
الدليل الأول:" اصحابي كالنجوم "..... ١٦٥
وفيه:..... ١٦٦
حجية قول وفعل الصحابي (سنة الصحابة)..... ١٧٠
ويمكن أن يناقش ١٧٢
أدلتهم على إثبات ذلك :..... ١٧٤
الدليل الأول: القرآن الكريم..... ١٧٤
ويمكن أن يناقش..... ١٧٥
الدليل الثاني: السنة النبوية الشريفة..... ١٧٧
أقول ويمكن أن يناقش في جميعها، من عدة وجوه،..... ١٧٧
أولاً:..... ١٧٧
ثانياً:..... ١٧٨
ثالثاً:..... ١٧٨
رابعاً:..... ١٧٨

خامساً: ١٧٨
سادساً: ١٧٩
سابعاً: ١٨٠
الأهداف المتوخاة منها: ١٨١
الأهداف الدينية ١٨١
الأهداف السياسية ١٨٢
سؤال وجواب ؟ ١٨٥

القسم الثاني في مقدمة ورد شبهات القفاري

مقدمة: ١٨٩
نبذة عن الكتاب والمؤلف: ١٨٩
رد افتراءات القفاري ٢٠٢
قال القفاري في الفصل الثاني ـ الشيعة تحارب السنة النبوية ٢٠٢
والجواب ٢٠٤
أهم الأضرار التي لحقت بالحديث النبوي ٢١١
ذكر القفاري الشيعة تقول بالسنة ظاهراً وتنكرها باطناً ٢١٧
ردّ هذا الافتراء ٢١٧
وقال القفاري في مبحث عقده تحت عنوان: قول الإمام كقول الله ورسوله ٢٢٠
والجواب التفصيلي عنه يتضمن الإشارة إلى: ٢٢١
١- عصمة الإمام ٢٢٤

٢- العلم الأفاضي للإمام ٢٢٤
٣- الوراثة ٢٣٠
٤ - القرآن الكريم ٢٣١
٥- الكتب التي ورثوها من النبي الأكرم: ٢٣٢
قال القفاري: الشيعة تقول بالإلهام والوحي للأئمة ٢٣٨
وفي مقام الرد عليه ، نقول ٢٣٩
وقال القفاري: تقول الشيعة بوجود وسيلة أخرى غير الإلهام ٢٤٢
ونجيبه عن ذلك: ٢٤٢
وقال القفاري: العلم المستودع عند الأئمة نوعان ٢٤٥
أقول: ٢٤٥
قال الشيخ كاشف الغطاء: ٢٤٦
أما بالنسبة لما ذكره السيد بحر العلوم ٢٤٧
فقال القفاري: روايات الشيعة تقول بتلقي علي العلم من الرسول حتى بعد وفاته ٢٤٩
وفي جواب هذا نقول: ٢٥٠
ردّ لقوله أن الأئمة يحكمون بالصحيفة دون القرآن ٢٥٤
وأضاف القفاري قائلاً: لدى الشيعة كتاب يسمونه كتاب علي ٢٥٥
وجوابه : أما كتب علي (عليه السلام) فقد نقل خبره ، المؤالف والمخالف ٢٥٥
ثم أضاف القفاري: لديهم كتاب يسمى ديوان الشيعة ٢٥٦
ونجيبه عن ذلك: ٢٥٧
قال القفاري: كتبهم تحمل دعوى استمرار الوحي الإلهي ٢٦٢
وفي ردّ هذا الافتراء نقول: ٢٦٣
الوحي في اللغة: ٢٦٥

الوحي في القرآن: ٢٦٥
قال القفاري: ادعاء الشيعة بعدم كمال وتمام الدين ٢٦٦
وفي الجواب نقول: ٢٦٧
إنكار القفاري لولادة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) ٢٦٨
ويبطله ما ذكره بعض أعلام السنة ٢٦٩
قال القفاري: الشيعة حصرت نفسها في نطاق ضيق ٢٧١
وفي ردّه نقول: ٢٧٢
إتهام القفاري للشيعة بزيادة الروايات في كتبهم ٢٧٥
الجواب على ذلك ٢٧٥
الكتب الأربعة عند الشيعة لم تخل من دس وزيادة ٢٧٦
النقد: ٢٧٦
أولاً: ٢٧٦
ثانياً: ٢٧٦
ثالثاً: ٢٧٨
رابعاً: ٢٧٩
فهرس المصادر ٢٨٣

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين.

إن الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبها، وتعدد قومياتها، تجمعها أهداف مشتركة وأصول متحدة، ونحن أبناء هذه الأمة نعلم بأن هذه الأصول والأهداف المصيرية ذات العرى الوثيقة لن تنفصم إن تمسكنا بها؛ لأن ديننا، وإلهنا واحد لا شريك له، وكتابنا ونبينا (ﷺ) واحد، وعقيدتنا بالمعاد والبعث والنشور واحدة، ونرى وجوب الصلاة والصيام والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و...

وعليه فإن من أعظم الواجبات علينا وأهمها ـ بعد توحيد الله تعالى والإيمان به وبأنبيائه ـ هو الحفاظ على وحدة هذه الأمة، والسعي الجاد والحثيث لرص الصفوف، ولما بلغته وحدة الأمة وتوحيد كلمتها من أهمية قصوى، تجد أن الحق تعالى قد قرن ذلك بتوحيده، فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3]، وقال تعالى في ذم الفرقة والاختلاف: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[4]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ

١- الأنبياء: ٩٢.

٢- آل عمران: ١٠٣.

٣- الحجرات: ١٠.

٤- الأنفال: ٤٦.

يَفْعَلُونَ ﴾[١] ، وأما النبي الأكرم (ﷺ) فقد أكدّ على هذه المسألة ، وقد أمر المسلمين على الالتزام بوحدة الكلمة والموقف ، قال (ﷺ): « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً** »[٢]، وما هذه المحاربة منه سبحانه ومن نبيه (ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام) ، والتشديد بالنهي عن الفرقة ، إلاّ لما يلازمها من تمزق وتشتت يؤول مصير الأمة معه ، إلى الاضمحلال والانحلال والضعف ، فتمسي أمة ـ وكما نراه الآن ـ خاضعة ذليلة ، مغلوب على أمرها ، بعدما كانت سيدة الأمم وهي صاحبة الموقف .

فما أجدر بنا اليوم أن نأخذ بأوامر ربنا وإرشادات نبينا (ﷺ) ، فنسخر جهودنا وطاقاتنا ولنجعلها تصب في مواجهة الأعداء ، الصهاينة والصليبيين في حملاتهم المسعورة التي لا هدف لهم ورائها إلاّ إطفاء نورنا واستأصال شأفتنا ، ولولا يد الغيب ورعاية الرب بدفعه عن هذه الأمة ، لآل أمرها إلى الزوال ولما بقيت باقية منها ، نتيجة تناحرنا وتفرقنا وضرب بعضنا البعض ، فبدل من أن تتحول طاقاتنا هذه وقوانا في مواجهة الأعداء، نجدها وبكل أسى وحسرة تُستنزَف بتضارب أبناء الأمة الواحدة فيما بينهم ، وهو ما ينتظره عدونا ، فما زال بين الحين والآخر تظهر كتابات ومقالات من شخصيات إسلامية ممن يرى في نفسه أنه من أهل العلم والفكر ، تشق عصا الأمة ، وتمزق وحدتها ، وتضعف كيانها ، وكأن أقلامهم وكتاباتهم ومراكزهم الدينية والثقافية والاجتماعية ، حِراباً تطعن في جسد هذه الأمة وبلا هوادة ورحمة ، فإلى متى سنضل نشد سفينتنا إلى الوراء ؟ !.

١- الأنعام : ١٥٩.

٢- الكوفي ؛ ابن أبي شيبة : المصنف : ج٧ : ص٢١٦؛ تحقيق محمد سعيد اللحام ؛ ابن حبان : الصحيح : ج١ : ص٤٦٨ ؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط .

أليس تكفير طائفة كبيرة من المسلمين تتشهد الشهادتين ، ورميها بسهام الشرك والزندقة وبتحريف القرآن ، وإنها تتداول قرآناً سرياً ، وإنكارها لسنة النبي (ﷺ) و... ، هو أضعافاً لكيان الأمة ؟!.

نحن لا نعلم لماذا تثار مثل هذه الفتن ؟ وما هو الهدف من ورائها ؟ فليعلم من يظن بهذا العمل أنه يحسن صنعاً ، ويحقق هدفاً ، إن ما يكتبون ويفترون ليضربوا به بعض الأمة ، لا يصب إلاّ في مصلحة الأعداء ، وأن لا طائل من ورائه إلاّ إثارة العاصفة وغبار الفتنة ، وتعميق لهوة الخلاف والتعصب والتصلب قبل المذاهب الأخرى ، فكتاباتهم هذه تجعلنا على أن لا نقف مكتوفي الأيدي ، فما السبيل وأنت وترى مقدساتك تهان ، ومثلك الأعلى بعد النبي (ﷺ) ، وعقائدك وتراثك يستهزئ به ، فراجع ما كتبه نفر لا يعبر إلاّ عن رأيه ، فضلاً من أن يمثل جماعة المسلمين ممن ينتمي إليهم ، أمثال موسى جار الله ، وإحسان إلهي ظهير ، وأحمد أمين ، وناصر القفاري وغيرهم ممن يسعى سعيهم ، تجد كتاباتهم مشحونة بالعصبية الجوفاء وبالسيل من الشتائم والافتراءات والأباطيل والأكاذيب والتحريفات لأقوال أئمة الشيعة الإمامية وعلمائها ، ولعل كتاب ناصر بن عبد الله القفاري ، الموسوم بـ " **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية** " ــ إن لم يكن قد طلع قرن شيطان جديد ـ آخر من كُتِبَ بهذا الحجم والسعة من الافتراءات والاتهامات الباطلة .

إن من يطالع هذا الكتاب يصاب بالدهشة ، ويمتلئ ألماً وحسرةً ؛ إذ كيف يجوز ويتبنى صرح إسلامي كبير ، ومركز من مراكز العلوم والمعرفة الإسلامية ، وفي بلد عريق ، منبع للإسلام ومحط رحال المسلمين ، وله تمام القدسية لدى جميع المسلمين قاطبة ، مثل هكذا

كتابات ؟! بل الادهى من هذا أنه يمنح صاحبها درجة الدكتوراه وبمرتبة الشرف الأولى [١]!!.

ألم يلاحظوا ما سطّر فيها كاتبها مما لا يمت إلى آداب صاحب الشريعة ، ولا هو من تعاليم الدين ، من سباب وشتائم وتلفيقات وافتراءات على مذهب الشيعة الإمامية وأئمتهم وعلمائهم ؟ كما سيتضح لك في مقام الردّ عليها . أين احترام الذات ؟ ! لماذا الكذب ؟!

إن من يريد أن يهدي قوماً ـ حسب زعم القفاري بأنه يريد أن يهدي الشيعة ـ يحاججهم ويجادلهم بالتي هي أحسن ، ويدعوهم بالحكمة الموعظة الحسنة ، كما أرشد إليه تعالى ، لا أن يصفهم ومقدساتهم وأسلافهم وعلمائهم بالأوصاف القبيحة ، وتسليط لسان السب والشتم عليهم ، مع إننا نعلم يقيناً أنه ومن على شاكلته ، ممن ينتهج نهجه ليس هدفهم هداية أحد ، ولا همهم خدمة الإسلام ، وإنما الإضلال وإيقاع الفرقة ، وإثارة الحمية بين صفوف المسلمين ، فهؤلاء النفر لا خير فيهم ولا سلامة منهم ، وإلاّ لكان عليهم أن يحذروا البهتان والافتراء وقلب الحقائق ، وأن يتحلوا بالورع والتقوى ، والتزام الموضوعية فيما يكتبوا ، فهم يزمرون ويعيدون الأسطوانة القديمة ، ويقلبون نفس الأوراق الصفراء التي عاث بها الزمن ، كل هذا لما ها لهم ما يرونه من تمسك المسلمين بالنبي (ﷺ) وأهل بيته الكرام (عليهم السلام) والأخذ بهديهم ، وإتباع إرشاداتهم وتعاليمهم الحقة ، الملائمة للفطرة والعقل السليمين ، وكما صرحوا بذلك علناً وأمام الملأ ، فهذا ابن حجر قد عبر عن مكنونه في بيان علّة تدوينه لكتابه " الصواعق المحرقة " ، فقال في مقدمته : « ... **فأجبت إلى ذلك مسارعةً في خدمة هذا الجناب ، فجاء بحمد الله إنموذجاً لطيفاً ، ومنهاجاً شريفاً ، ومسلكاً منيفاً ؛ ثم سئلت قديماً في إقرائه في رمضان سنة خمسين وتسعمائة بالمسجد**

١- نعني بذلك جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المدينة المنورة ، حيث منحت ناصر القفاري درجة الدكتوراه ـ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ـ وبمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبعها وتبادلها بين الجامعات ، كما جاء في أول الكتاب ، ص٤.

الحرام لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة ، أشرف بلاد الإسلام ، فأجبت إلى ذلك ، رجاء لهداية بعض من زلّ به قدمه عن أوضح المسالك ...))[1].

وأما القفاري ، فهو أكثر صراحة في التعبير عن هلعه ، لما هاله من انتشار مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ، حيث قال: ((**وقد تشيع بسبب الجهود التي يبذلها شيوخ الاثني عشرية ، الكثير من شباب المسلمين ... ومن يطالع كتاب " عنوان المجد في تاريخ البصرة ونجد " يهوله الأمر ، حيث يجد قبائل بأكملها قد تشيعت**))[2].

ونحن لولا قيام الحجة علينا ، وإلزام الشرع لنا بوجوب الدفاع عن عقيدتنا ، لئلا يقال بأن الشيعة ليست لهم حجة ولا برهان ولا ردود ، ولكي لا يضيع الحق في متاهات الباطل، لما كتبنا ـ لإيماننا بوجوب التكاتف والتآخي ولزوم وحدة الصف ـ ما في هذه الأوراق المتواضعة مساهمة منا في دفع بعض هذه الأباطيل ، وإماطة اللثام عن من يثير الضباب في طريق الحق ، فكانا عملنا فيها ينقسم إلى قسمين :

الأول: ما يتعلق بالإمامة الخاصة ، ونقصد به ، إمامة الأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام ، و قد ضم ثلاثة فصول ، فجاء في الفصل الأول ، معنى الإمامة لغة واصطلاحاً ، ثم تطرقنا إلى ذكر بعض أدلتها المثبتة لها الواردة ، في الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، وكانت الأدلة مقتصرة على النقل فقط ، المشفوع بشهادات الصحابة والتابعيين وأعلام الأمة ، مع مراعاة الاجتناب عن ذكر الأدلة العقلية قدر الإمكان ، رعاية لما يتبناه المخاطب ، نعم اقتصرنا على ذكر بعض ما تسالم عليه العقلاء ، كحجية ظواهر النصوص . وجاء في الفصل الثاني ذكر خصائص الإمام ، واقتصرنا فيه على أهمها ، وهما العصمة والعلم ، بما يلازم منصب الإمامة ومقام الإمام ، وأما الفصل الثالث فقد خصصناه لبحث عدالة الصحابة ، لما لها قد يتوهم من أن مجرد الصحبة قد يؤهل

١- الهيتمي المكي ؛ ابن حجر : الصواعق المحرقة : ص٣؛ حققه وعلق عليه عبد الوهاب عبد اللطيف.

٢- القفاري ؛ ناصر بن عبد الله : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (عرض ونقد) : ج١ : ص٩؛ المقدمة .

الشخص لتسنم زمام الولاية ، كإمام مفروض الطاعة وإن لم تتوفر فيه شروط الإمامة ، وباعتبار أن الدكتور القفاري قد ضمن كتابه ببعض الاتهامات للشيعة الإمامية حول الصحبة والصحابة .

الثاني: ما يتعلق بردّ الشبهات والاتهامات التي أثارها القفاري على مذهب الشيعة الاثني عشرية ، وقد أجبنا فيه على أهم ما أورده من ذلك ، وهو الفصل الثاني ـ من كتابه سالف الذكر ـ الذي خصصه لاعتقاد الشيعة الإمامية الاثني عشرية بالسنة النبوية .

والجدير بالذكر ، إن أدلة الإمامة عندنا لا تقتصر على النصوص الوارد ذكرها في كتب الصحاح ، ومصادر أهل السنة ، بل لنا أدلتنا وكتبنا ، وطرقنا الخاصة في الاستدلال عليها ، وإنما لجئنا في الاستدلال عليها بكتب ومصادر علماء أهل السنة ؛ لما هو متسالم عليه من وجوب الاستدلال بما هو حجة ودليل عند الطرف الآخر ، ومن باب ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم ، وهذا هو الموافق لأصول وقواعد المناظرة ، والاستدلال ، والمحاججة ، فهو أقوى في الحجة ، وأثبت للحق . علماً إن الإمامة تعد من البحوث الاعتقادية المهمة إن لم نقل أهمها وأصعبها ، فمنها يتحدد طبيعة وحقيقة التوحيد عند المعتقد بها ، كمسألة التجسيم، والتشبيه ، والرؤية ، و.... ، وكذلك يتفرع عليها المسلك الفقهي وبيان أحكام الشريعة وطبيعة الأخذ بها ، فضلاً عن سائر المسائل الدينية الأخرى .

وأخيراً، فالمناسب أن نشير إلى جملة من المعوقات التي واجهتنا خلال عملية سير البحث، وكانت كالآتي:

١- سعة بحث الإمامة وتشعب أطرافه ، لما ينطوي على العديد من الأدلة التي يتطلب البحث فيها المتابعة الدقيقة والشاقة في بطون كتب أهل السنة والشيعة .

٢- توجد تضعيفات لبعض أدلة الإمامية في هذا الباب من أهل السنة ، لم تكن معتمدة على أسس وظوابط علمية في التضعيف ، بل كان جلّها يعتمد على دوافع غير موضوعية ، تكمن

ورائها العوامل الذاتية ، فإننا وجدنا عندهم التمادي والتجاوز للمباني والقواعد الأساسية في مجال نقد الأدلة وتضعيفها ، لمجرد مخالفتها لمتبنياتهم ، فتجد عندهم إسقاط حجية الدليل من أيسر الأمور، والحال أنه يجب على الباحث مراعاة تلك القواعد والضوابط والوقوف عندها ؛ لأنه في مقام تحمل المسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى والأمة الإسلامية.

٣- إعتماد أهل السنة لبعض المصادر دون البعض الآخر ، مع أنها لا تقل في أهميتها وحجيتها عن تلك ، بل يمكننا القول أنها أوثق وأقوى في حجيتها ودلالتها ، في الوقت الذي نرى فيه أن ما اعتمدوه هو محل نقاش عندنا ، مع قصوره في استيعاب ما ورد في السنة الشريفة .

٤- اعتمادهم لبعض الأدلة الواهية التي وضعت لمعارضة ما صح من الأدلة عند الطرفين ، فضلاً عن اعتماد بعضهم ، كالدكتور القفاري على ما كتبه بعض المناوئين ، وهي كتابات غير منصفة في الواقع ونفس الأمر ، وعليه فهذا يحتاج إلى بذل جهود مكثفة وزمن أطول في مجال الرد عليها ، وإثبات ما هو صحيح وواقع .

وأما بالنسبة لما اتبعناه من أسلوب في تحقيق هذه الأطروحة، فهو كالآتي:

١- اعتمادنا على ما كتب في هذه المسألة ـ الإمامة ـ قديما وحديثاً ، من قبل السنة والشيعة .

٢- مراجعة العديد من المكتبات التخصصية وغيرها ؛ لأجل الوقوف ومطالعة ما أمكننا الوصول إليه .

٣- الاستفادة من آراء أساتذتنا الكرام ممن لنا الارتباط به في الدرس وخارجه ، فلم يبخلوا علينا في أبداء الرأي والنصيحة والإرشاد .

٤- استفادتنا مما كتبناه سابقاً في مقام التحقيق في مسألة الإمامة ، وردّ بعض الشبهات المثارة عليها.

الفصل الأول

الإمامة

في

القرآن الكريم والسنة الشريفة